كانوا يعدلون في الاحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يغلظ لهم وينفر الناس من أصل سلطتهم ويغيظ أشدهم سفكا للدماء كالحجاج أفلسنا أحوج الآن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع الملة وتعاونهم على فريضة النصيحة مادام في القوس منزع وفي السلطة الاسلامية رمق .

(الآثار بقية)

التعصب وأوربا والاسلام

الكلام دول تخالف دول الحقائق تارة وتخالفها تارة ، وربما خلاف يجر الى حلاف وحلاف ينتهي بخلاف . قد يتهم المخلي بالشق حتى يجعله التهمة عاشقا ، وقد ينكر المكذوب الكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، ومنبت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من الغلو في التعصب عشر معشار ماوقع من أهل أوربا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادة المسلمين أو ماوقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ماوقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوربا بامتياز مركان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى

لما رجعت دول أوربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ماحددته لها تعصبها عالمة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتحول فاستفادت من الانكسار مالم تستفد من الانتصار ، ومازالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى بالجهل والكسل والتفرق والانفصام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم الكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبطت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أكثر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والدنيوي وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا . وان انكلترا وهي أحسن من استعمرنا وأقربهن الى اللين والعدل لم تبلغ بعض شأو الخلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الامويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبون لا يؤمن شرهم أن يقع على المخالف لهم الا بغل أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الوقر في أسماعهم والغشاوة على أبصارهم ولكن ازالة الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يعد تعصباً !! لماذا ؟ لأنها تقول: انهم متعصبون للدين وانا غير متعصبين له ، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين ، الغربيون غير متعصبين لأن الغرب لا يعرف غير الجامعة الجنسية أو الوطنية ، المسلمون متعصبون النصارى غير متعصبين ، التعصب الاسلامي خطر على المدنية المسيحية ، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فالانسانية على خطر ، ما يأخذه الصليب من الهلال لا يعود اليه وما يأخذه الهلال من الصليب يجب ان يسترد منه ، :

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المطلعين من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونبه أفكارهم فاعتقدوا ان أوربا متعصبة عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم المالي من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وربما كانت تجاهر بالتعصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون الى تحقيقها ولكن روح الاسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الاسلامية وهو ما نبينه في هذا المقال

خفتت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتعصب حينا من الدهر ثم لاحت السياسة ان ترفع به عقيرتها وقد قام في هذه الايام وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والعهدة على ترجمة الجرائد — ان روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قال كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أتته السياسة الانكليزية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير الذي بين عذر الحكومة في ارتكاب

ذلك المنكر وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها الركبان وتوى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء

عهدي بصوت المتذرع في مقام الدفاع ان يكون خافتا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع، قد كان أشد من دوي المدافع، خشعت له في المجلس الابصار، وخفتت له الاصوات، ولم يلبث ان حمله البرق الى الارجاء، فكان مع البرق رعداً قاصفاً في جميع الجواء، رددت صداه الاقطار، وكان الشغل الشاغل لصحف الاخبار، فأما الجرائد الاوربية فقد صدقت الوزير في قوله، ووافقته على ما يريد به، جاريةً في ذلك على نهجها المعبد، وتقاليدها المتبعة، ونبهها من الجرائد الافرنجية والمتفرنجة في مصر من يرى أصحابها لهم فائدة من تغليط انكلترا من المسلمين. وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف ينكر.

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لعاقبته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاروا بمنتهى ما يتولد بين الغيرة والوجل، من فنون المجاج والجدل، وربما كان في دفاعهم ما يعده المتهمون لهم مثبتا للتهمة عليهم، ولم أر منهم من شرح ما يريده الوزير من التعصب حكما اعتقدتم احتج على بطلانه بما يرجى ان يكون مقنعاً للمنصف، بل رأيت كثيرا من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضاً لا يعتقد ماقال. أما أنا فإني أقول انهما يعنيان بالتعصب غير ما فسره به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون الدلائل على ردها.

هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والمعنوي فنقول لهم انكم تشاهدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحادا وتناصرا، وأشدها تفرقا وتنافرا؟ هل يعنون به بغضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذاً كيف اصابت هذه الفروة الواسعة منا جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخامة الحديوية وكثير من مستخدميها ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا ؟ بل كيف عاش بيننا المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعنون بديننا وكتابنا ونبينا ؟ هل يدينون به محافظتنا على شريعتنا من جهة الاحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الاهلية والمختلطة ومدرسة الحقوق ونظارة الحقانية نفسها حجة عليكم فاننا تركنا معظم شريعتنا الاهلية الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا ؟ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خموركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبغاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد اغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام ، أضعاف الذين يزورون بيت الله الحرام ، ولماذا ولماذا ولماذا . . . هل يعنون به ان مصر تريد ان تتبع سائر الأقطار الاسلامية ، بالاتحاد على الامنية التي يعبر عنها بالجامعة الدينية ، فنقول أخبرونا عن قطرين إسلاميين اتحدت حكومتاهما وتحالفت على دولة غير إسلامية كما تفعل دولكم في تعاطفها وتحالفها . ما كانت حكومتان لتتحالفتين لإعلاء كلمة الله لا سيما في هذه الازمان ، إنهم الا متخالفون لوجه الشيطان ، بالأمس قامت دولكم على دولة مراكش الاسلامية فاتحدت على ماشاءت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس ان يكون لها معكم سهم ولا قالت واحدة منهما كلمة تشعر بالغيرة عليها أو المساعدة لها بل هما الآن متناوئتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحدتان على إفناء ما بقي للمسلمين من قوة واستقلال فتأكل كل منهما بالأخرى . على أن الحكومات هي التي تعقد المعاهدات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمة في أعمالها رأي ، بل ليس للحكومة نفسها من دونكم أمر ولا نهي ، بل نقول لهم لو كان للمصريين الذين تتشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الاسلامية وإنما يعملون بما أرشدتهم اليه من العصبية الوطنية ، فانه يوجد فيهم كثيرون يعدون المسلم غير المصري فيهم دخيلا ويأبون الاشتراك معه في أي عمل ، ويفتخرون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

اذاً ماذا يريدون بهذا التعصب المصنّع، المتحفز لمواثبة الدول، المحرنبق لينباع، المجرّ مزلهم الباع، المتربص ليقتل الفروة الأروبية، المتوثب ليمحو آية المدنية؟

ألا انهم يعلمون ان المسلمين حريصون على ان يكون حكامهم منهم وأشد ما ينكرون من ذلك أن الاسلام قد جعل من حقوق الخليفة على المسلمين، أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال المخلفين لهم في الدين، ويعتقدون أن السلطان عبد الحميد ما أحيا لقب الخلافة لنفسه وعنى باقناع الشعوب الاسلامية بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليتمتع نفسه بهذه القوة المعنوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ما حدث له من الشواغل والمراذل في كل وقت وما تنطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهاءه وقد أعطي هذه السلطة الدينية المخيفة. هذا ما يعتقد الاوربيون في التعصب الاسلامي وهذا ما يخافون منه. ولما كانت مسألة العقبة ورأى الورد كرومر أن السلطان قد ظهر فيها بمظهر الشدة والحزم أولا ورأى ثورة بعض جرائد المسلمين فيها بحقوق الخليفة والخضوع لخليفة واستنادها في بعض ما تكتب على مختار باشا الذي أنيطت به هذه المسألة خلافا للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد تجرأ بايعاز امبراطور ألمانيا المتهوّر على استعمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر ما يعتقد وتبعه وزير الخارجية في ذلك اذ لا مصدر له في المسائل المصرية سواه. فهل يفتأ الكثيرون يقولون ان الورد قال مالا يعتقد وكذلك الوزير؟ وهل تظن الجرائد بما أكثرت من الكتابة في التعصب انها قتلت في الذروة والغارب، وأقامت الحجة على الورد والوزير وسائر الاجانب،

الحجة الناهضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي القرآن، الناطقة بتحريم العدوان، وبأن القتال الديني خاص بمن يقاتلوننا في الدين أي يقاتلوننا لأجل منعنا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره. وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسير أكثرها في المنار وحسب المنصف

منها قوله تعالى (٢:١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٦٠:٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لو فقه الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأذعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الا بها لكانت كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا بهذه الآية الأولى تأذن للمسلمين بقتال من يقاتلهم خاصة وتحرم عليهم أن يتولوا هم المعتدين ومن فروع هذا التحريم ماجرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعباد والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا من محاربي وأما الذمي والمعاهد والمستأمن فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز انتهاك بمن تجب حمايته من عدوه ؟ أما الآيتان الاخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين لنافي الدين الذين نهانا عن موالاتهم في أول السورة وفي سور اخرى وبين غيرهم . قال في أول هذه السورة (٦٠:١ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الاعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا النفي والاخراج يكونوا لهم اعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم و يبسطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفوا بعد الاخراج والنفي عن عداوتهم . بعد هذا قال سبحانه (٦٠عسى الله ان يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * ٧ لا ينهاكم الله) الى آخر الآيتين . فهو بعد إطماع المؤمنين في تحويل العداوة بينهم و بين أولئك الاعداء الى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لاجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهؤلاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخراجهم من ديارهم او ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهيا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن ولايتهم ومحالفتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين للمسلمين.

هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم او أديب أمر بمعاملة اعدائه واعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكمل وجه؟ أليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال في دين جاء بهذا الكمال الاعلى انه خطر على البشر لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن كانوا مسالمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنج؟ بلى ولكن أكثر الافرنج يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال المسلمين وغوغائهم أو الذين يتخذون السياسة ويجعلون الدين آلة لها وهم به جاهلون

اذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوربيون ويسمونها تعصبا فاني لا أبرئ كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين في الدين وان كانت الامة الاسلامية قد أجمعت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على غير المعتدي. وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليما ذا استفتى شيخ الاسلام ابا السعود في إلزام نصارى الروملي بالاسلام أو ابادتهم لان بقاءهم متمتعين بحريتهم في الدين واللغة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم لابد ان ينتهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم يفته ابو السعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة او أقوال المجتهدين أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسعاف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأفتى وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة فكرة وجوب طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين فهي غرس الاوربيين الذين اثاروا تلك الحرب بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الغرس وينمونه بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن شر تعصبهم هذا

لاأدري أي الرأيين أفضل ، ورأية السياسيين شر ، أرأي مسلم يظن ان اعتقاد الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تهييج المسلمين على النصارى من شاء من عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان نمدهم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ عسى ان يخف ضغطهم عن تحت ملطتهم من المسلمين و يقل تحاملهم على الدولة العثمانية ، ام رأي أوربي أونصراني شرقي يتهم المسلمين بالتعصب وانتهاز الفرص للايقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة و يظن ان هذا من السياسة المثلى التي تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيبلغوا ما أرادوا من سيادة وكسب، ألا يجوز ان أي كل من السياستين بنقيض مايرادبها فيكون ايهام المسلمين للاوربيين بأنهم مستعدون للفتك بهم عند ماتحركهم ارادة السلطان جاريا لكلمة أوربا على ابتسار الثمرة قبل ارطابها ، أوجذذ الشجرة قبل أن تستوي على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة الغربي منهم بالشرقي ، والعربي بالعجمي ، ويؤلف منهم عصبية تجعل الظن يقينا ، والامالي منونا ، ولو بهدحين ، ؟

أليس مما يذعن له كل منصف محب لخير البشر أن ابادة الفئة خير من إبقائها ، وأن إزالة الاحن خير من إثارتها ، فمن أظلم ممن علم هذا فأعرض عنه واستبدل التفريق بالتأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن قوته الذاتية بوهمه على معاداة حكومته الحقيقية ، أولئك المفرقون فريقان — هذا يقول لاوربا ان المسلمين متعصبون فخذيهم بالعذاب لعلهم يرجعون ، وهذا يشغل من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، ويعلق أمانيهم بالدولة العثمانية ، ونحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من النصارى كافة كما يوجد في الجرائد الافرنجية والمتفرنجة من ينفر النصارى من المسلمين كافة بدعوى ان المسلمين متعصبون عليهم ، إذا اتفقت الواقعة ، فكانت خافضة رافعة

أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

وليس من العدل ان يحمل بمجرده من التعصب الديني الذي يخشى منه على غير المسلمين عامة وعلى الاوربيين خاصة لان الدولة دولتهم باعتراف انكلترا وسائر دول أوربا على أنهم لا يرضون بترك استقلالهم لها ولا هي تطمع بذلك، ثم ان موضع العقبة من جزيرة العرب وكونه سيكون بالحرمين الشريفين بحكم محطة لسكة الحديد الحجازية واعتقادهم الديني في الحرمين معروف فاذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الارض المقدسة بمنزلة المساجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معابده ومساجده المقدسة تحت سلطة المخالف له في دينه؟ أوليس الافضل بأن هذا من التعصب هو أشد الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثل «رمتني بدائها وانسلت»؟

اذا كثير الذين يرمون المسلمين بالتعصب ينطقون بلسان السياسة والسياسة سريرة لا تعلم، ولعة لا تكاد تفهم، فهي ككتب الجفر لا يعلم ما تطبق او تنطبق عليه الا بعد وقوعه، واذا كانت السياسة تريد عملا يتوقف على رمي المسلمين بالتعصب فهي ترميهم به تمهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع أهلها في ذلك لانا لسنا من أهل الشورى في سياستهم نقول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن فيه سواء اذ ربما كانوا في هذه الحال يشكون من التعصب ظاهرا ويبغون في الباطن ايجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ندع للمستقبل خطابهم فهو أقدر على اقناعهم وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومعتبرين منه فاننا نقول لهم بلسان الصدق كلمة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه:

اننا لا ننكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر مهما اعطوا ولا نراكم تعيبوننا وتعاقبوننا على كوننا من البشر، ان تريدون بتسمية هذا تعصبا الا اننا نتربص الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لنثور عليه وهو لا يملك وسيلة حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يفعلوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم ولا تنسون ما فعل بعض نصارى البلقان من قبل وما يفعلون الآن في مكدونية، ان نحن ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونغار على حقيقتنا على اننا أصفى أهل الملل قلوبا وأسلم عاقبة ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا محول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه إن شئتم . وان كنتم تبغون الاثرة فينا والافتيات علينا وتعدون عدم الرضى بذلك سرا وجهرا من التعصب فاعلموا انا متعصبون لان طبيعة البشر قد جبلت على النفرة من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها للمتسلط عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وان كان متفقا معهم في الجنس واللغة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ اذا لاعلاج لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وبهذه المزايا ساد الاسلام اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد ونراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا التي نحكمها بلسة بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب على انه كان يساوي أخس رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كعلي بن أبي طالب ، وانا نا متعصبون لانا لا نرقص طربا لامتيازكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء ولا تخشى معارضا فيجازي الله رؤساءنا الذين أذلونا بظلمهم وجهلهم واستبدادهم وأضعفوا حجتنا كما أضعفوا سلطتنا حتى صار بعض الاجانب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الاضافي ولولا ذلك الاذلال لما كان هذا الادلال)

وجملة القول — ان الاسلام اعدل الاديان وأرحمها بالمخالف فوصف الافرنج ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم نعتقد له سياسة ومنهم الجاهل القاصر والسياسيين فيه — وان المسلمين اذا كانوا لا يسلمون من التعصب فهم أقل تعصبا لا سيما في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم — وان الافرنج والمتفرنجين هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى العارفين بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في الازهر — وان هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم — وان السلطان نفسه لا يقدر على الامر بالتغيير العام في غير هذه الحالة اذ لا يفتيه شيخ الاسلام ولا غيره من العلماء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لان هذا مخالف

لنص القرآن — وان وزير الانكليز قد عنى بالتعصب ماذكرنا تبعا للورد كرومر وهما يعتقدان أنه قد تهيج في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكلترا كان من العقل والسياسة — وانا نعتقد أنه لم يكن هناك خطر على الاوربيين — وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط اخصاء مجردا من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المعهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكلترا قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم — وانها خسرت بهذه القسوة معظم ما ربحته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بحكمها الا انها خسارة تزول وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها — وان المصريين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم للمخالف في الدين مودة

هذا وإن المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلوم أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الذمي والمعاهد وهو من بيننا وبين دولته عهد سلمي كأهل أوربا الآن والمستأمن وهو من دخل من الحربيين بلادنا بتأمين منا — وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين — يحرم الاعتداء عليهم وايذاؤهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ، ومنتهى ما عند هؤلاء من مرار يمايؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف والانبساط مع المخالف لعدم العادة . وأما العوام وهم الصنف الثالث فأمرهم كما قلنا يعتقدون ان السلطان اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لا يخشى ضرره وجعله مثارا للفتن الا في الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام النصارى كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان كان فالمتعصب هو المعتدي والعوام يتبعون علماء الدين فاذا حدثت أمور يخشى معها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فاذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشرة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افعل من كثرة الشرط والجنود

وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الاوربية فأكثرهم لا يمتازون عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع الاوربيين ، وسماعهم لاقوالهم في المسلمين ، فهم يميلون الى التعصب سياسة لا تدينا ولكن روح تساهل الاسلام غلب عليهم حتى لا يسلم منه المارق منهم ، وانني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومعلميهم يقولون : انهم يتهموننا بالتعصب بالدين كان صحيحا : فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التعصب أقربنا من الدين ، وأدناننا منه أجهلنا بالدين وأعرفنا بأعمال أوربا في علومهم ومدنيتهم لا سيما من ذاق حقيقتها منا فمثار التعصب أوربا لا الاسلام نفسه واذا ظلت أوربا على أنهاما والافتيات علينا في شؤوننا فيوشك أن يجيء يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما نسأل المدأن يقي البشر شره والافان في استطاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويعقلون ، ويسرون ويألمون ، وتد في خلقه شؤون ، وهو يعلم مالا نعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بخيت ﴾

(٢ — وصفه الفونغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قولنا بأنه وصفه بالمقدار الذي يتعلق به ما كان بصدده قال (كما في ص ٣٦) : وقد أخذنا وصفنا عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ وهي مطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفاقهما على ان الفونغراف آلة ناطقة !!